﴿سورة الكوثر﴾

وفيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: ما المراد بالكوثر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)﴾ ؟

الجواب: الكوثر على وزن فوعل من الكثرة، وقد تعددت أقوال المفسرين فى معناه، فالمشهور أن الكوثر نهر فى الجنة وفي صحيح البخاري عن أنس ﷺ قال: (لما عُرج بالنبى ﷺ إلى السماء قال: "أتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً فقلت: ما هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر) [١] وبسنده أيضا عن عائشة ﷺ سُئلت عن قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)﴾** قالت: "هو نهرأعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليهما در مجوف آنيته كعدد النجوم، أَشدُّ بياضاً من اللبَن وأَحْلَى من العسلِ على حافتيْهِ قِبابُ الدُّرِّ المجوَّفِ"[٢] وعليه قول أكثر المفسرين وقال عكرمة عن الكوثر: (هو النبوة والقرآن، وثواب الآخرة)[٣]، و (قال الفراء قال ابن عباس ﷺ: الكوثر هو الخير الكثير)[٤]، وقول ابن عباس ﷺ الأخير أعم وأشمل فيدخل تحت معناه كل ما سبق من خيرى الدنيا والآخرة من الإسلام والنبوة والذكر الخالد ونهر الجنة وغير ذلك، ولذا روى (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: "الكوثر"الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر :قلت لسعيد بن جبير: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه اللهإياه) [٥].

المسألة الثانية: ما المقصود بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(٢)﴾ ؟

فى الآية الكريمة وقفات تحسن الإشارة إليها :

---

(١) صحيح البخارى، ٦/ ١٧٨، ورقمه ٤٩٦٤ .
(٢) صحيح البخارى، ٦ / ١٧٨، ورقمه ٤٩٦٥ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٠١/٨
(٤) تهذيب اللغة ١٠٢/١٠، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م .
(٥) صحيح البخارى، ٦ / ١٧٨، ورقمه ٤٩٦٦ .

الأولى: لابد أولاً من الإشارة إلى جمع هذه الآية بين لونين من ألوان العبادة: البدنية وأعنى بها الصلاة، والمالية وأعنى بها نحر الذبائح، وقد حاز نبينا ﷺ فيهما قصب السبق فكانت قرة عينه فى الصلاة كما أخبر هو عن نفسه، وكان يكثر من النحر تقرباً إلى الله ﷻ وإطعاماً للناس، فقد روى أنه أهدى مائة بدنة ونحر بيديه منها ثلاثاً وستين بدنة مساوية لعدد سني عمره ، إذ مات ﷺ وله من العمر ثلاثة وستون عاماً .

الثانية: تأمل دلالة قوله تعالى: **﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ (٢)﴾** وما فيها من دلالة إخلاص العمل لله وحده وقصده بالعبادة وإفرادها له ﷻ، ولم يقل (وانحر لربك) حتى تتوافق أواخر الآيات وتتوحد خاتمتها بحرف الراء (الكوثر، وانحر، الأبتر)، وهو ما يدخل فى باب مراعاة الفواصل وتوحد الخواتيم وهو لون من ألوان علم البديع فى البلاغة .

الثالثة: قوله ﷻ: **﴿وَانْحَرْ﴾** فالنحر هو طعن الإبل في اللبة عند المنحر ملتقى الرقبة بالصدر، واتفق الفقهاء على أن النحر للإبل، والذبح للغنم، أما البقر فمتردد فيهبين النحر والذبح، وأجمعوا على أن ذلك هو الأفضل ولو عمم النحر في الجميع أو عمم الذبح في الجميع لكان جائزاً ولكنه خلاف السنة.

وقالوا إن الحكمة في تخصيص الإبل بالنحر هو طول العنق؛ إذ لو ذبحت لكان مجرى الدم من القلب إلى محل الذبح بعيدا فلا يساعد على إخراج جميع الدم بيسر، بخلاف النحر في المنحر فإنه يقرب المسافة ويساعدالقلب على دفع الدم كله، أما الغنم فالذبح مناسب لها والعلم عند الله. وقد خص النحر بالذكر هنا دون الذبح حثاً على التقرب إلى الله ﷻ بكرائم الأموال ونفائس النفقات، فالإبل هى أغلى أموال العرب وأنفسها، من باب قوله ﷻ: **﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾** [١] .

الرابعة: قال كثير من المفسرين فى اقتران الصلاة فى الآية المباركة بالنحر: إن المقصود هنا صلاة عيد الأضحى لأنها تجمع بين صلاة العيد

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٦٧ .

ثم نحر الأضاحى بالترتيب المذكور فى الآية الكريمة، وأجمع أهل العلم على عدم جواز مخالفة الترتيب المذكور فى الآية الكريمة فصلاة العيد أولاً، ثم النحر ثانياً، وأن من تعجل فنحر قبل الصلاة فلا تجزئه أضحيته وإنما هى شاة لحم قدمها لأهله. وقيل إن المراد فى الآية الكريمة: كل الصلوات وسائر النحر دون تخصيص لصلاة عيد الأضحى، قال الشيخ الجزائرى: (فاشكر هذا الإنعام بأن تصلي لربك وحده ولا تشرك به غيره، وكذا النحر فلا تذبح لغيره تعالى وفي هذا تعليم لأمته، وهل المراد من الصلاة صلاة العيد والنحر الأضحية؟ لا مانع من دخول هذا في سائر الصلوات والنسك) [١] .

المسألة الثالثة: ما معنى قوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ(٣)﴾ ؟

الجواب: كلمة **﴿شَانِئَكَ﴾** مأخوذة من (الشنآن) وهو البغض وشدة الكراهية، ومنه قوله تعالى: **﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾**[٢]، قال الزمخشرى فى تفسيرها: (لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم)[٣].

أما معنى **﴿الأَبْتَرُ﴾** فالأبتر مأخوذ من البتر وهو القطع، وبترت الشئ أى قطعته، وكل أمر انقطع عن الخير فهو أبتر، قال القرطبى: (قال أهل اللغة: الأبتر من الرجال: الذي لا ولد له، ومن الدواب الذي لا ذَنَب له) [٤] والذَنَب هو الذيل، ولبيان معنى الآية الكريمة يجب الوقوف على سبب نزولها فإن بيان السبب بيان للآية، قال المفسرون: إن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده: "قد بتر فلان"، فلما مات لرسول الله ﷺ ابنه القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة، قالوا: بتر محمد، فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت هذه الآية لترد عن النبى ﷺ وتدفع عنه، وتبين أن كل كارهى الرسول ﷺ هم المبتورون من الخير المقطوعون عن رحمة الله، قال

(١) أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير، ٦٢٢/٥ .
(٢) سورة المائدة / من الآية ٨ .
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ١ / ٦١٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٣/٢٠ .

الداودي (كل شانئى رسول الله ﷺ فهو أبتر ليس له يوم القيامة شفيع ولا حميم يطاع) [1].

وفى السورة ثلاث لطائف يحسن الوقوف عندها :

اللطيفة الأولى: إن المتدبر فى علاقة سورة الكوثر بالسورة السابقة عليها وهى سورة الماعون يجد ترابطاً عجيباً بين موضوع السورتين، بما يدلل على إعجاز ترتيب سور القرآن الكريم، فقد خُتمت سورة الماعون بقوله ﷻ: ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)**﴾ وبدأت سورة الكوثر بقوله ﷻ: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ فذكر أنه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير ومنه النهر في الجنة، أي لئن كان المنافقون يمنعون الماعون فإنا أعطيناك الكوثر، وقد جاءت سورة الكوثر فى مقابل سورة الماعون، فقد ذكر الفخر الرازى أن سورة (الماعون) قد وصفت المنافقين بأربع صفات، ثم ذكر ما يقابلها من أوامر وصفات لسيد الخلق وإمام المرسلين وقدوة العالمين فى سورة (الكوثر)، فأما صفات المنافقين المذكورة فى سورة (الماعون) فأولها: البخل وهو المراد من قوله: ﴿**يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)**﴾ وذكر ما يقابلها فى سورة الكوثر: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ أي إنا أعطيناك الكثير ،فأعط أنت الكثير ولا تبخلالصفة الثانيةللمنافقين هى ترك الصلاة وهو المراد من قوله: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(٥)**﴾، وقابلها فى سورة الكوثر بقوله: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾ أي داوم عليها، والصفة الثالثة: المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله: ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ(٦)**﴾ وقابلها فى سورة الكوثر بقوله: ﴿**لِرَبِّكَ**﴾ أى ائت بالصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، أما الصفة الرابعة: المنع من الزكاة وهو المراد من قوله: ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)**﴾ فذكر في (سورةالكوثر) فى مقابلها: ﴿**وَانْحَرْ**﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي وإطعام الفقراء والمحتاجين. ثم خُتمت سورة (الكوثر) بقوله: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)**﴾ أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة

(١) الجواهر الحسان فى تفسير القرآن ٤/٤٤٦ .

سيموت ولا يبقى من دنياه أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفىالآخرة الثواب الجزيل.

فتأمل – يارعاك الله – هذا التناسب العجيب بين هاتين السورتين الكريمتين .

اللطيفة الثانية: يمكن للقارئ المتدبر فى هذه السورة الكريمة أن يجد فيها ملازمة معنى الوصل والقطع، فقد خُتمت السورة السابقة عليها وهى سورة (الماعون) ببيان صفة المنافقين فى قطع الماعون والمساعدة عن المحتاجين وبدأت سورة (الكوثر) ببيان وصل الله ﷻ لنبيه ﷺ بالخير الكثير والشرف العظيم، كما أن الله ﷻ قد وصل نبيه ﷺ بالكوثر والخير الجزيل، وقطع عدوه فجعله أبتر الخير والذكر فى الدنيا والآخرة، فكأن الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ إنا نعطيك ونقطع من يعاديك .

وتأمل أيضاً المناسبة بين النحر الذي فيه قطع حياة – أى حياة الحيوان المنحور – لوصل وإحياء حياة أهم وهى حياة المسكين الجائع ، كما تتوافر دلالة القطع والوصل في السورة فى قطع أعداء الحق، ليكون في ذلك وصل لحياة الحق في قوله: **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣)﴾** .

أما اللطيفة الثالثة: فتكمن فى أن هذه السورة مع قصرها – فهى أقصر سورة فى القرآن الكريم كله – قد حوت جملة من جمال المعاني، وتناسق الكلمات والحروف، واشتمال اللفظ القليل على معانٍ جليلة عظيمة، فلتنظر أولاً إلى حروف السورة على صغرها وكيف أنها متناسقة تكرر فيها لفظ الراء الذي فيه التفخيم، بحيث إذا قرأه القاريء يفخم الصوت من فمه لاسيما في كلمة الكوثر ، فيشعر بالعظمة والانبهار، وكيف فيه أيضاً القطع الذي يملأ النفس الإنسانية بالشعور بالقوة عند الوقوف على قوله تعالى: **﴿الأَبْتَرُ﴾**.

كما استوعبت سورة الكوثر على صغرها عدداً من الضمائر المتعددة، ففيها مثال على الضمير البارز**﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾**، وعلى الضمير المستتر

﴿فَصَلِّ﴾ و﴿انحَرْ﴾، والضمير المتصل ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾، والضمير المنفصل ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ ، وضمير المتكلم ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ وضمير المخاطب ﴿شَانِئَكَ﴾، وضمير الغائب ﴿هو﴾، وضمير المفرد وضمير الجماعة مجتمعين فى ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ ، كما تعدد المحل الإعرابى للضمائر فى السورة فجاء الضمير فى محل رفع فاعل وهو (نا) الدالة على الفاعلين أو عظمة وتفخيم الفاعل المفرد فى كلمة ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾، وجاء الضمير فى محل نصب مفعول به وهو الكاف فى ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾، وجاء الضمير فى محل جر مضاف إليه فى الكاف فى كلمة ﴿ربك﴾ .

ومن العجب فى هذه السورة المباركة أن الكلمات الدالة على الرب ﷻ جاءت ثلاثة، والكلمات الدالة على حبيبه ﷺ جاءت ثلاثة، والأعجب أن هذه الكلمات الدالة على الله ﷻ ورسوله ﷺ قد جاءت متناسبة مرتبة الحالات الإعرابية: النصب ثم الرفع ثم الجر، فالأولى الدالة على الله ﷻ (نا) فى كلمة ﴿إِنَّا﴾ وهى فى الأصل مكونة من كلمتين (إن الناسخة، ونا الدالة على الله ﷻ) وهى اسم إن فى محل نصب ثم ﴿نا﴾ الدالة على عظمة الله ﷻ فى كلمة ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ وهى فى محل رفع فاعل، ثم (رب) فى كلمة ﴿رَبِّكَ﴾ وهى مجرورة بحرف الجر ، أما الكلمات الدالة على نبينا محمد ﷺ فهى الكاف فى قوله ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ وهو ضمير فى محل نصب مفعول به، ثم الضمير المستتر فى قوله: ﴿فَصَلِّ﴾ وهو ضمير مستتر فى محل رفع فاعل، وأخيرا الكاف فى كلمة ﴿لِرَبِّكَ﴾ وهى ضمير فى محل جر مضاف إليه، فاتفقت الكمات الدالة على الله ﷻ ونبيه ﷺ فى الحالات الإعرابية: النصب فالرفع فالجر على التوالى. فسبحان من أحكم آى القرآن العظيم.